مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

خصائص السرد في مذكرات الشاعر عبد الله البردوني

دكتور

حيدر محمود غيلان

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم

جامعة قطر

مجلة كلية الاداب – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥١) لسنة ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة: 1110 - 614X

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 1110 - 709X

موقع المجلة الالكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الملخص العربي:

يعالج هذا البحث الأبعاد المعرفية والسمات الفنية للسرد في مذكرات الشاعر عبد الله البردوني، وقد توزع على مبحثين: تناول الأول القيمة المعرفية أو المضمونية لمذكرات البردوني، مع تسليط الضوء على الجديد الذي تضيفه المذكرات على مستوى سيرة البردوني الذاتية، وعلى مستوى الرصد التاريخي للأحداث والوقائع الثقافية والاجتماعية والسياسية، فقد جاءت مذكراته لتقدم – على المستوى المعرفي – سجلاً حافلاً بالأحداث والتطورات الكبيرة والتفصيلات والخفايا الدقيقة لتاريخ اليمن ولسيرة الكاتب الذاتية. وتناولنا في المبحث الثاني: الجديد الذي تضيفه هذه المذكرات إلى تجربة البردوني على المستوى الإبداعي أو الفني، فعالج مذكراته بوصفها عملا روائيا مكونا من حلقات، أو مجموعة قصص مؤطرة، مستعرضا خصائص السرد وجمالياته في المذكرات، حيث التقت فيها السيرة الذاتية بالمذكرات، بالسرد التاريخي، وبذلك اقتحم بها مجالا جديدا في الكتابة – بعد أن عرف شاعرا وكاتبا صحفيا – يتمثل في السرد الفني أو الكتابة القصصية، لكنها جاءت من حيث الأسلوب حاملة سمات كتاباته في المجالات الشعرية والنثرية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: البردوني، السرد، المذكرات، السيرة الذاتية.

مقدمة:

بدأ الشاعر العربي والأديب اليمني المشهور المرحوم عبد الله البردوني (١٩٢٩-١٩٩٩) [١] كتابة مذكراته قبل وفاته بثلاث سنوات، حيث نشرت على شكل حلقات في صفحته الأسبوعية في صحيفة (٢٦ سبتمبر) ؛ فتوزعت على مدى زمني يقارب الثلاث سنوات، بدأها بحلقة عنوانها (إلزام وملزم)، نشرت في ١٠ أكتوبر ١٩٩٦م ، وختمها بحلقة عنوانها (استدراك) – نشرت في ٢٦ أغسطس ١٩٩٩ – وقد كان لنشر هذه المذكرات في شكل عمود صحفي أسبوعي، أثر واضح في أسلوبها ومحتواها، فقد تعددت عناوين المذكرات وحلقاتها تلبية لمتطلبات الكتابة الصحفية، وقد سرد البردوني فيها مذكراته، متضمنة سيرته الذاتية.

وتكتسب هذه المذكرات أهميتها من المكانة التي احتلها البردوني في الحياة الثقافية المعاصرة، ومن تميز شخصيته وتعدد مصادر ثقافته، ومن غزارة الأحداث والتطورات الثقافية والأدبية والسياسية والاجتماعية في القرن العشرين، فقد كان البردوني شاهدا على عصره، راصدا ومحللا لأحداثه وتطوراته المختلفة، مما يجعل من هذه التذكرات كنزاً ثقافيًا وأدبيًا جديرا بالاكتشاف؛ ولذا فقد جمعت في كتاب نشرته وزارة القافة اليمنية عام ٢٠١٣[٢].

ويعالج هذا البحث الأبعاد المعرفية والسمات الفنية للسرد في مذكرات البردوني، فيتناول في المبحث الأول: القيمة المعرفية أو المضمونية لمذكرات البردوني على المستوى الثقافي والأدبي والسياسي والاجتماعي، مع تسليط الضوء على الجديد الذي تضيفه المذكرات على مستوى سيرة البردوني الذاتية ، وعلى مستوى الرصد التاريخي للأحداث والوقائع الثقافية والاجتماعية والسياسية، ويتناول في المبحث الثاني الجديد الذي تضيفه هذه المذكرات على المستوى الفني ، لا سيما أن البردوني اشتهر شاعرا، أكثر من شهرته ناثرا أو سارد، فكان لابد من تقييم هذه التجربة الجديدة ، من خلال

معالجة مذكراته بوصفها عملا روائيًا مكوناً من حلقات، أو مجموعة من القصص المؤطرة واستعراض خصائص السرد وجمالياته في المذكرات، وقد كان البردوني نفسه – في مذكراته – على وعي بأنه اقتحم مجالا مختلفا عن مجالات كتاباته السابقة، ولذا حرص الباحث على معالجة خصائص هذه المذكرات من خلال ربطها بالبيئة المحيطة، وبشخصية البردوني وثقافتهوقد استعان الباحث في معالجة خصائص هذه المذكرات وسماتها، بالمنهج الأسلوبي في ومنهج تحليل الخطاب.

- المبحث الأول: السمات المضمونية:

للمذكرات مجالاتها التي تميزها عن السيرة الذاتية[٣]، ومن هنا نجد أن الشاعر عبد الله البردوني في مذكراته، قد مال إلى عدم الاكتفاء بسرد تفاصيل حياته الخاصة ، فجعلها شاملة للأحداث والتطورات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي شهدها، وللتعريف بأهم الشخصيات التي عاصرها، فتنوعت مجالات المذكرات لتشمل الشخصي والعام، السياسي والفكري والأدبي والاجتماعي والفلكلوري؛ حيث نجد في مذكراته موسوعة معارف احتوت على تفاصيل دقيقة وأحداث وتطورات بارزة، كما سيتضح من خلال تناولنا لأبرز المجالات المعرفية التي احتوتها مذكراته.

- شاهد على العصر:

نتيجة لخصوبة المراحل التي شهدها البردوني (١٩٢٩- ١٩٩٩م) وازدحامها بالأحداث والتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية، فقد جاءت مذكراته شاهدة على العصر، حيث تناول البردوني فيها أبرز الأحداث السياسية التي مرت بها اليمن، منذ الحكم التركي، ومرحلة الأئمة، مفصلاً القول حول ثورة ١٩٤٨م، وثورة ١٩٥٥م، وثورة ١٩٦٢م، وحصار السبعين يوماً وقيام الجمهورية وأبرز أحداثها وزعمائها والفعاليات السياسية حتى قيام الوحدة اليمنية ١٩٩٠م، إضافة إلى الأحداث العالمية البارزة كالحرب العالمية الأولى والثانية وحرب الخليج، ونلمس هيمنة أحداث العصر في مذكراته من خلال عناوين الحلقات الآتية: (سنوات بداية التحول) و(عام الانقلاب) و(غيمة الوضوح

بعد إخفاق دولة الدستور) و(الآتي الذي يأتي غيره) و(بعد انقشاع الصعقة) و(ضحايا التغيرات) و(عام القنوط) و(على بوابة العصر الجديد) و(العام الأحمر) و(سباق المناشير والردود) و(مخلفات العواصف) و(هيجان العقد الخامس) و(ربيع العصر الثوري) و(عقابيل المؤتمرات) و(الأيام الطويلة في أقصر مرحلة) و(حروب الزمان الغائب).[٤]

وقد كان للتداعي أو الاستطراد دوره في ثراء مذكراته وازدحامها بالأحدث الكبيرة والتفصيلات الخفية، ونلحظ هذا من خلال سرد الأحداث في إحدى حلقات المذكرات قائلا: " فبعد انجلاء الحملة العثمانية الأولى، سادت الفوضى جميع مناطق اليمن، وبالأخص المناطق القريبة من صنعاء. وظلت (ذمار) مأمن كل مرتاد طلباً للسلامة، وراجت مقولة أو وصية: إذا هاجت الفتن عليك باليمن، وإذا هاجت في اليمن فعليك بذمار، وحين جاءت الحملة العثمانية الثانية في منتصف القرن التاسع عشر قررت أن تستقر على السواحل، وما يليها من مدائن (تهامة) غير أن الفوضى الدموية ألجأت أعيان صنعاء إلى طلب مد سلطة الأتراك، نتيجة قيام الأنظمة الفوضوية ... أما التنازع السلمي والدموي بين الأئمة، فكان يقع في العشائر المحاربة، التي تسقط (إمامًا) وتسود (إمامًا)؛ فتكاثر الخارجون والمريدون حتى تعددت أسماء الأئمة وعواصمهم، وكان أكثر الأئمة يسقطون ب(الحيمة) مثلاً، ويستعصمون بـــ(بني مطر) إما بديلاً عن (إمام) أو احتياجًا إلى (إمام)، يحتمون بمظلته في المناطق المجاورة.. وكانت تتعدد سلطاتهم في صعدة وخمر وحجة، إلى جانب سلاطين آل زياد في تهامة، الذين كانوا على حساب خلافة بغداد" [٥]

فلم يترك الكاتب حدثاً مهماً دون أن يبدي رأيه فيه، مستعرضاً الحدث وعوامله وخلفياته، وتأثيره، وأبطاله، مناقشا الآراء المطروحة حوله، كاشفاً عن التفاصيل والخفايا الدقيقة، ناقلاً رؤية العامة والمثقفين والساسة، وعلية القوم، متجاوزاً في كثير من الأحداث، الراسخ والسائد في التناول الرسمي المعاصر، وقد أعانه على ذلك معايشته للأحداث ومجالسة صناعها، ومع أن الأحداث الكبرى الواردة في مذكراته في معظمها

مدونة في السجلات التاريخية المعاصرة، فإن معالجة البردوني لها امتازت بالنظر إليها من زوايا جديدة، والتركيز على تفاصيلها الدقيقة، فقدم آراءً جريئة تستند إلى وقائع وأدلة مقنعة، ولم تكن الأحداث السياسية وحدها محور مذكراته، فقد سرد فيها أهم الأحداث الثقافية والمتغيرات الاجتماعية والأدبية، فبالإمكان أن نعدها تاريخًا سياسيًا واجتماعيًا وأدبيًا وثقافيًا، كما سيتضح أكثر في معالجاتنا اللاحقة.

- تجربة حياة:

بدأ البردوني كتابة مذكراته – كما ذكرنا– قبل وفاته بثلاث سنوات، بناءً على طلب من جمهور القراء؛ أي بعد أن خبر الحياة وعرف مآل الأحداث وتطورها، ووصل إلى مرحلة راسخة من الخبرة والمعرفة، جعلته في منأى عن الانفعالات الآنية والآراء الخاضعة للتأثير اللحظي للحدث، ومن هنا حرص على أن ينقل إلينا في هذه المذكرات خلاصة تجاربه ورؤيته الفلسفية النابعة من خبرته الطويلة على مدى سبعين عاما من عمره ، فلم ير في تفاصيل حياته اليومية وفي سرد الأحداث التاريخية– كما ذكرنا – ما يكفي للقيام بالوظيفة المعرفية والتربوية المطلوبة؛ فحرص على استنباط الجوهر الجامع للأحداث على اختلاف عصورها، فالبردوني ينطلق من إدراكه، أن ما في بطن الكتب يختلف عن الواقع، وأن التجارب الواقعية تكسب الإنسان خبرات تساعده في مراجعة الآراء وإعادة تقييمها، ونلمس هذا في قوله: " وكنت لم أذق هذه التجارب أيام تلمذتي على يد (الضحياني) ، وكنت أحب ادهاشه بغرابة بعض تجاربي، ولو امتدت بيني وبينه الصلة، لأخبرته فيعرف أن في الحياة غير ما في الكتب، ولكنه كان يحاول ليّ التحدث عن السياسة إلى غيرها..."(٦)

ويأتي تركيز البردوني على ما وراء الأحداث وربطها بالمسببات والنتائج الواقعية، محاولة منه لتغطية القصور الذي لمسه لدى الكتاب العرب في هذا الجانب، يقول في خاتمة حلقة عنوانها (علم العلوم): "وحين نسترجع أحداث القرن العشرين، نحس وجودنا في الحاضر، لأننا جئنا إلى ثقافة محلية، تنقصها النظريات، التي تصل الأمس بالغد، لأن كل الثقافة تجذرت، وتسببت تعهدها بالتراث وبالجديد من الثقافة المعاصرة والسلفية، فمن ذا أصدر كتاباً أو كتابين عن تركتنا السياسية، مع أن الفلسفة السياسية،

هي التي جاءت من الأمس، لكي تضيء حركة اليوم بجديدها وتجديدها، ولم تولد ثقافة النظريات في شهور، بل تظل تتجدد بفضل ماضينا الفكري والفقهي، فما أصبحت أوروبا الثائرة الصناعية، إلا بعد أن اعتصرت ثقافة عشرين قرنا، لأن الفلسفة علم العلوم"(٧).

وقد ترجم هذا الإيمان بأهمية التجربة والإدراك الفلسفي في استيعاب الأحداث، من خلال قراءاته السابقة، يقول في حلقة (مسافة شعرية.. بين صنعاء وتعز): "وحين صدر كتاب ألمانيا الهتلرية ، تأليف جماعة من المؤرخين كنت والزميل عبدالله الرازحي نقرأ الفصل أكثر من مرتين، ولا نتجلى خفايا الأحداث ومسبباتها، وذات يوم صدر كتاب «موجز التأريخ العالم» ، فعرفنا معالم الفلسفة الألمانية قبل هتلر، حتى تبدى «الأودلفي» أصدق مثل لامتداد المسار الفكري لألمانيا، الذي عبره كل كتابه، مؤكدين أن «ألمانيا فوق الجميع» فكراً ودماً وعلماً، حتى وصلت هذه الموجة إلى فلسفة «نيتشه» الذي رفع الإنسان الألماني في شكل «السوبرمان»" (٨).

وفي مذكراته يظهر الحرص على نقل التجربة المستخلصة من الاحداث كما يظهر من خلال عناوين الحلقات الآتية: (سنوات بداية التحول) و(الآتي الذي يأتي غيره) و(علامات المفترق) و(من التفتح إلى الاعتصار) و(انتظار الذي أتى) و(دوران التاريخ في أقاليم الوقت والتحول) و(الأيام الطويلة في أقصر مرحلة) و(حروب الزمان الغائب) و(خطوة أخرى في الشوط الزمني) و(أطوار وأدوار) و(استقراء مخلفات الزوابع) و(تبرج الخفايا).

وقد حرص البردوني على تلخيص رؤيته الفلسفية وتقديم تجربته وخبرته في الحياة ، في مداخل معظم حلقات مذكراته، و في خواتمها، فعلى سبيل المثال يبدأ حلقة (الآتي الذي يأتي غيره) بمدخل يشير إلى أن المقدمات والأحداث قد تقود إلى نتائج غير متوقعة أو غير منطقية، يقول: "توقف امتداد هذا التذكر على بوابة المغيبات، التي طرقت من غير الطرق السالكة، وتراكضت إلى المهود الأحداث التي كانت غير مرئية العلامات، والتي كانت غير محتملة الحضور، لأن الضيوف غير المدعوة توافدت من غير مآتيها، وتعاقبت الأسئلة الملحة على الذي لا جواب لديه.. فحل محل الذي كان غير الذي لا يدري كيف يكون؛ لأن نهاية الدورة شكل بداية دورات غائمة المداد، وكانت البداية لا تشكل منتهاها، فإذا بها تشكل بداية الدورات الزمنية الأخرى، التي تدل على دورات غيرها، فقد شكل

شباط عام ٤٨ نهاية الذي كان ومستهل الذي يكون، لأن الذي تبرج في شباط كان بعيد البداية التي أصبحت نهاية؛ لأن بداية وقائع شباط كانت عصارة عقدين متعاقبين، لأن الأحداث الشباطية بزغت من فجر يناير عام ٣١ وأينعت في ١٨ شباط" (٩).

ويستخلص في بداية حلقة (هيجان العقد الخامس) أن الغالب " أن تكون البداية غير معلومة الزمان، لأنها مقترنة بالزمان الذي قبل، وممتدة إلى الذي بعد. ذلك لأن البدايات غير موصولة بنهايات منظورة، لأن الذي قبل شديد التشبث بمكانته وإمكاناته، وبرواسخ من عوائده التي امتلأت بها الأجيال السابقة، والتي بدأت تحاورها الأجيال الحالية ثم الآتية... وقد تبدى العقد الخامس من هذا القرن موصول الحركات الإحداثية المختلفة نوعاً عن سوابقها والمختلفة شكلاً بثقابة رؤيتها"(١٠).

وفي حلقة من مذكراته عنوانها (حروب الزمان الغائب) يقدم خلاصة رؤيته للعلاقة بين الحدث ومقدماته أو بين الأحداث ماضيا وحاضرا ومستقبلا، يقول: "هناك من يرى أن خير الأمور ختامها، وهناك من يرى أن خيار الأمور ما عرفت بدايتها من نهايتها.. وكل هذا مقبول أحياناً وأحياناً مردود.. فالأمور التي لا تجود إلا قبل نهايتها يتجلى خيرها للتي تليها، والتي تطفر أكثر مما كان يتوقع منها، تدفع قوتها في أقل الأيام، ثم تشيب في الشباب، كما شهدت ثمرات آخر هذا القرن.. من آخر السبعينات إلى الآن " (١١).

ويقدم رؤيته في حلقة (ضحايا التغيرات) بما تلخصه الحكمة القائلة: إن الدنيا لا تدوم على حال"(١٢)، كما يرى في مطلع حلقة(مخلفات العواصف) أن الهدوء يسبق العاصفة والعاصفة تخلف العواصف "(١٣). وبذلك تظهر أصالة البردوني ومقدرته على تجاوز الظاهر في معالجة القضايا والأحداث من خلال استقراء المقدمات والنتائج، وحرصه على تقديم رأيه في القضية أو الحدث، بناءً على استعراض مسبباته وعوامله في الماضي، ونتائجه في الحاضر والمستقبل.

- سياحة أدبية وثقافية:

لم تكن الأحداث السياسة في المذكرات بمنأى عن التطورات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية؛ فالبردوني يحرص في كتاباته النثرية على تناول الموضوع أو الحدث من خلال البيئة التي أفرزته، ويظهر هذا من عناوين كتبه، على سبيل المثال: كتاب (الثقافة

والثورة في اليمن) وكتاب (اليمن الجمهوري) وكتاب (الزبيري من أول قصيدة إلى آخر طلقة) ، وفي مذكراته خصص البردوني بعض حلقاتها للجوانب الثقافية والأدبية، كما يتضح من عناوين الحلقات الآتية: (مكانة المدرسة الشمسية بذمار) و(حلقة من الذكريات الثقافية و(الصيد على ظهر قصيدة) و(فضيحة بدار العلوم) و(انقسام كل صف إلى صفوف) و(مسافة شعرية بين صنعاء وتعز) و(الثقافة في إطار عصور التغيير) و(علم العلوم) (١٤).

وفي هذا الجانب ينقلنا البردوني عبر مذكراته إلى أبرز معالم الثقافة اليمنية ومحطات تطورها، وأهم عوامل النهضة الحديثة في اليمن، مقدماً تاريخاً أدبيًا وفكريًا لليمن ما قبل ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ وما بعدها، ومعرفاً بأبرز قادة الثقافة والأدب والفكر في القرن العشرين، فكان شاهداً – في هذه المذكرات – على ظهور الصحافة في اليمن والإذاعة والمؤسسات التعليمية وبدايات النهضة الأدبية بمدارسها الكلاسيكية والرومانسية والواقعية وظهور الأجناس الأدبية الجديدة، كالقصة والرواية والمسرحية وقصيدة التفعيلة وقصيدة النثر، فكان شاهدا على كثير من المتغيرات الأدبية في اليمن والوطن العربي، وهذا ما نجده –على سبيل المثال– في حلقة عنوانها (علامات المفترق)، يقول : "في المؤتمر الثاني للأدباء العرب عام ١٩٥٦م التقت الأزمنة كلها في زمن واحد، من خلال الأصوات الشعرية والتثاقفية، ترقرق صوت الماضي البعيد متجدداً في أصوات: محمد مهدي الجواهري، وخالد الشواف، ومحمد الأسمر.. كما تناغم الماضي القريب الآتي من آخر العهد النهوضي، وبداية العهد الرومانتيكي في صوت: محمود حسن إسماعيل، وبدوي الجبل، ومحمد الأخضر الجزائري. ومن امتداد الثاني تبدى الزمن الراهن في صوت: نازك الملائكة، وفدوى طوقان، وبدر شاكر السياب، وعلي الحوماني، ورضوان الشاهل.. أيام كانت الواقعية الجديدة متجهة إلى الأمام وملفوتة الوجه إلى الخلف.. " (١٥)

ومن خلال سيرته الأدبية ينقل إلينا تفصيلات مهمة عن نشأة الشعر اليمني الحديث وتطوره، ونأخذ مثالا على هذا مقطعا من حلقة عنوانها (على بوابة العصر الجديد):"نجمت هذه الكوارث والأحداث إبان تفتح ذهني على الوجود الإنساني عام ١٩٤٩م. الذي كان عامي العشرين، فتسببت سنوات بعد الحرب في ميلي إلى عوالم

السياسة، فرأيت قصائدي قبل ذلك العام غير ذات موضوع؛ لأنها غير منغمسة في محابر السياسة التي تحول الحبر إلى بحر، وتحول الكاتب إلى زورق مبحر، وكان شعر الرعيل الأول من شعراء اليمن يخوض مجاهل السياسة. فتنتني إذا ذاك قصائد محمد أحمد الشامي، وعلي الحجري، ومحمد الحجري، ويحيى محمد الإرياني وكلها تموضعت السياسة بعد انطفاء الحرب العالمية الثانية"(١٦).

وسخّر البردوني ثقافته الشعبية وخبرته البحثية في الفولكلور والأدب الشعبي، لينقل إلينا في مذكراته جانبا من العادات والتقاليد اليمنية في المأكل والملبس والمناسبات الاجتماعية "الزواج والأعياد"، وأنماطًا من حياة الناس وأسلوب عيشهم، إضافة إلى وصف بعض القرى والمدن والمعالم التعليمية والثقافية والقصور والأسواق والمجالس في المراحل الزمنية والمناطق اليمنية التي شملتها المذكرات. ونأخذ على سبيل المثال ما يذكره عن المدرسة الشمسية ومكانها في مدينة ذمار والقرى والأمكنة المحيطة، قائلا: " تكاثرت المضاهاة ووجوه الشبه بين المساحة التي قامت عليها مدينة ذمار، والمساحة التي رست عليها المدرسة الشمسية بقلب ذمار. كانت مدينة ذمار محاطة من جهاتها الأربع، بالقرى المحاربة من (عنس السلامة).. فمن الجانب المتصل بالحداء، قامت قرية (المواهب).. كأهم بلد في المنطقة...تليها قرية (رخصة) التي تسلمت أعلى هضبة والشهيرة بجمال النساء.. وكانت تملك مع (المواهب) الحقول العريضة المديدة، فشكلت القريتان حراسة على قيعانها المترامية.. ومن الجانب المتصل ب(رداع) و (يريم) امتدت أكثر من قرية: الملة، ذي منكر، ذمار القرن أو قرن ذمار كما يقال اليوم، وحصن عمران. وقام فاصل بين ذمار وجهران خليط من القرى، التي يقطن بعضها أهالي (عنس الدابة) وأهالي (عنس السلامة) وبعضها مشتركة بين العنسين، امتد هذا الفاصل من: عيشان إلى حدود قاع المواهب.. وكان أسماء تلك القرى كما يلي: قرية عيشان من جهة الغرب، ثم يفاع ثم الدرب الممتد إلى سفح جبل هران" (١٧)

ويتضح أن هذا التنقل في الأزمنة والأمكنة والقضايا، قد جعل من مذكرات البردوني دليلا سياحيا يكشف في ثناياه عن تنوع أدبي وثقافي كبير، لا نجد تفصيلاته في الدراسات الأدبية والتاريخية الأخرى.

- **مجموعة سِيَر في سيرة ذاتية:**

لم يكتف البردوني في مذكراته بسرد سيرته الذاتية، على الرغم من أنها تمثل الدافع الأبرز لكتابة هذه المذكرات –كما أشرنا– لكنه رأى أن بعض تفاصيل حياته ليست مهمة بقدر سرد الوقائع والأحداث العامة، ولذا لم تشكل السيرة الذاتية سوى حيز بسيط من حجم المذكرات، وجاءت متناثرة في حلقات متعددة من مذكراته، ولم تظهر على مستوى العناوين إلا في ست حلقات: (إلزام وملزم) و(سنة العشق والخوف) و(سنه قطعوا رأس البردوني) و(في صنعاء) و(الطالب الأستاذ) و(البردوني الثاني في مطلع السبعين من عمره) [١٨] ، وفي هذه الحلقات التي توحي عناوينها بأنها مخصصة لجوانب من سيرته الذاتية، نجد أن محتواها يمتد إلى قضايا عامة[١٩]، حيث يظهر حرص البردوني على الخروج من دائرة سيرته الذاتية، من خلال ازدحام مذكراته بعدد كبير من الشخصيات ممن عاصرهم أو سمع عنهم، أو كان لهم صلة بالأحداث والموضوعات الواردة في مذكراته، فقدم ترجمة لعدد كبير من أعلام اليمن وقادتها، في المجالات المختلفة السياسية والفكرية والفنية والأدبية والتعليمية والاقتصادية، إضافة إلى شخصيات من عامة الناس، كالطلاب والباعة وأصحاب المزارع والإعلاميين الذين خبرهم، وكأننا أمام موسوعة لأعلام اليمن في القرن العشرين أو مجموعة من السير في سيرة ذاتية، وهذا ما نجده على سبيل المثال في هذا المقطع:" ومن يلاحظ النبهاء من تلاميذ مكتب الأيتام يجد لهم تميزا.. لأنهم مالوا إلى التثقف في ظل علي حمود الديلمي.. إلى جانب اشتراك آخرين في بعض هذا التميز، فتلاميذه يبرهنون على أنفسهم بنجاحهم في العمل الحسابي والكتابي.. مثل محمد الكستبان وعلي الضبعي ومحمد الشاطبي والعزي المصوعي.. وكان الديلمي من سنهم أو دونهم أو فوقهم قليلا... لأنه درس كتب الفقه، مضيفا كتب الحديث، مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكان له على المشاغبين من الشيعة حماية ملحوظة، لأن عمه زيدا الديلمي رئيس الاستئناف. وكان انتقاله إلى ذمار من الفرص التي تواتي أحيانا ... لأنه سكن في بيته الموروث، واتصل بمن انقطع عنهم من الأصحاب، ولا سيما (علي الكاظمي) وعبد الله الشجني ومحمد علي الخضر.. وكان له تلاميذ أكثر اهتماما وميولا إلى المزيد، من أمثال علي أحمد الخضر، ويحيى بن عبد الله الديلمي"[٢٠] .

فمن خلال الحديث عن سيرته الذاتية يستدعي حضور شخصيات وأعلام من مجايليه، وفي هذا الحيز استطاع أن ينقل إلينا تفصيلات مهمة، وزوايا كانت مجهولة حول سيرته الذاتية منذ مولده وحتى مماته، عارضاً معاناته وأحاسيسه ومشاعره التي لا يستطيع المؤرخون سبر أغوارها، كاشفاً عن مغامرات غرامية جريئة، ومواقف محرجة تبعث على الضحك والبكاء في آن معاً، إضافة إلى الأحداث التي شارك فيها والإنجازات التي قدمها، والمآسي التي تعرض لها، والشخصيات التي عايشها وخفايا علاقاته بهم سلباً وإيجاباً، ومن هذه التفاصيل الدقيقة المرتبطة بمعاناته و علاقاته الخاصة، قوله:" وكنت أعاني شرهاً ، فإذا وجدت مأكلاً في أي وليمة من ولائم المناسبات، أكلت حتى يهمس لي صديق بأن الذين حضروا الوردية قد قاموا، ولم يبق غيري، وكنت أعلم ذلك لكني أظل آكل، والعملة يحملون الموائد الأخرى أو ما عليها، فبدأوا يضعون صحون الوردية الثانية، فقال لي أحدهم: كل حتى إلى الوردية الثالثة، هذا أكل وليس مسابقة خيول، وليس في ردائك ربطة القات تناديك. وحين دخل حسين الرضي، المشرف سألني: هل شبعت؟ قلت: لا والله تعبت ولما أشبع. قال: قل معاوية الثاني. لأن معاوية معدود في تواريخ الشيعة من أشره الناس، لأن رسول الله دعا عليه: لا أشبع الله لك بطنا. قلت: وكان أحنى عليه من أبويه لأنه فتح أبواب شهيته، وأعطاه ملك العالم الإسلامي، أما أنا فشرهي نتيجة مجاعات من الصبا إلى المراهقة. وحين دخلت دار العلوم، كنت آكل صرفي كاملا عند دخوله قبل الغداء بساعة، ولا أذكر أني ظفرت بأكلة منعت أكلات كما يقال"(٢١) .

إضافة إلى هذا، قدم لنا سيرته الأدبية ومحطاتها ورأيه في كثير من القضايا الأدبية وأعلام الأدب في اليمن والوطن العربي، مستعرضاً مناسبات بعض قصائده، وبداية ظهور دواوينه الشعرية وما طرح حولها من آراء، والمجالس والمنتديات والمناظرات الأدبية والمؤتمرات التي شهدها داخل اليمن وخارجه. وهذا ما نجده على سبيل المثال، في المقطع الآتي من حلقة (البردوني الثاني في مطلع السبعين من عمره):" وكان البردوني الثاني، قد مال إلى الاستنكار من الشعر؛ لأنه أساس نفسيته، وما يرى توظيفها الكتابي إلا ضرورة المعيشة، لأن زوجتي لم تستطع أن تخبز شعرا وتطبخ شعرا إلا أن الدواوين الأربعة الأولى عادت علي بمردود لا بأس به، فتكونت بيني وبين الناشرين والطابعين

علاقة تعامل، ولاسيما حين ترجمت دار التقدم بموسكو ديوان (مدينة الغد) وأعطتني الأجر المتبع عندهم على عدد الكلمات، وقد اشتبكت مع السيدة (تمارا) رئيسة الدار، لماذا يستثنون حروف الجر والاستفهامات والتعجبات؟ فقالت: هكذا. فقلت لها إن هذه الحروف أجزاء من الكلمات، فدنا مني غائب طعمة، الروائي العراقي، وهمس لي: حاول اختصار الحديث خوفا من أن تغضب. فقلت: إني أريد أن أشتبك معها إلى الصبح. وقالت: لحديثك حلاوة شعرك. فقلت : لأني أحب الصفعات بالأيدي الحريرية" (٢٢)

وفي ثنايا مذكراته يقدم معلومات مهمة عن أعلام اليمن وأبرز رجالاتها، ويكشف عن زوايا مجهولة في شخصياتهم، إضافة إلى التعريف بأعلام لا تتوافر معلومات وافية عن سيرتهم في كتب التاريخ، يقول في حلقة عنوانها (العام الأحمر): " في السنوات الأولى من الخمسينات، ومع نجوم تلك الحوادث الجديدة اقتحمت السياسة كل مكان تجمع، فأصبحت الحديث المعهود عند التقليدي والعصري، والمزيج من العصرية والسلفية، وإذا بالسيد عبد العزيز إبراهيم الهادي الوقور يتحلى بالسكوت، بعد أن كان إذا سمع همساً أو نبساً، أو لاحظ إيماءات أغلق باب الشعبة، ووقف كخطيب الجمعة، مردداً: بم بم بم بأربعة مشافر، للجدار آذان ولأخشاب السقوف آذان، أغلقوا أبواب السياسة وافتحوا الكتب...وفي صبيحة يوم اطمأن إلى زميلنا محمد صالح العليي، وأعطاه سر تأخر زواجه قائلا: صممت من قبل عشر سنين أن لا أتزوج حرصاً على طاعة الوالدة، لأني عرفت الإخوان يكابدون خصومة العمة والكنة، قبل أن يجف حناء العرس، فأراد الشيخ الفاضل أن يبر أمة فما تزوج إلا بعد أسبوع من دفنها ." (٢٣)

وبهذا شكلت مذكرات البردوني موسوعة أعلام عرفت بمعظم الشخصيات التي خبرها من العامة والمشهورين مما يزيد من أهمية محتواها المعرفي، وهذا ينقلنا إلى الحديث عن سمات مذكراته وأهميتها على المستوى الفني.

- المبحث الثاني: السمات الفنية:

على الرغم من خبرة البردوني في الكتابة التاريخية وسرد أحداث الماضي، فإنه كان على وعي بأن ما يقدمه في مذكراته يدخل ضمن السرد الأدبي، وأنه بهذه المذكرات يقدم عملاً قصصياً، ويقتحم مجالاً جديداً من مجالات الإبداع الأدبي – كما ذكرنا–

فاستعمل تقنيات سردية، استرجع من خلالها سيرته الذاتية، والأحداث التي عايشها بقالب أدبي، يكشف عن مهارة وموهبه في مجال الكتابة القصصية، والسرد الروائي، وإن كان قد احتفظ بتحليل منطقي ونقل تاريخي في معالجة كثير من الأحداث، مع رؤية خاصة ووجهة نظر نابعة من تفاعل الحدث مع العناصر السردية الأخرى، فقدم لنا ما يمكن أن نعده عملاً روائياً متعدد الفصول، أو مجموعة من المغامرات والقصص المؤطرة، وسنعالج هنا أبرز السمات الفنية للسرد في مذكرات البردوني.

- البردوني بين المذكرات والسيرة الذاتية:

يلتقي في مذكرات البردوني فن المذكرات(٢٤) بفن السيرة الذاتية(٢٥)؛ وهذا ما أدى إلى امتزاج الذاتي بالموضوعي، فقد حرص البردوني على تذييل كل حلقة من حلقات مذكراته بتوقيع "المواطن عبدالله البردوني"، وكأنه أراد من خلال صفة المواطن، الإشارة إلى أن ما يقدمه في هذه الحلقات يختلف عن كتابات البردوني المؤرخ(٢٦)، أو البردوني الناقد(٢٧)، أو البردوني الشاعر، فيشير إلى غايته من كتابة مذكراته في الحلقة الأولى قائلا:"بعد أن نشرت صحيفة سبتمبر الغراء في الأسبوع الماضي على صفحتي المخصصة، مقالاً تأبينياً بمناسبة وفاة الأستاذ أحمد محمد نعمان... نتيجة ذلك المقال، تكاثرت علي الطلبات أن استكثر من الكتابة على ذلك النهج التحاوري، الذي يكشف جوانب من ثقافة جيلي الأول وجيلي الثاني، لأن بعض الرسائل رأتني فترة انتقال من جيل دخل الكهولة، ومن جيل تفتحت بواكيره من منتصف الخمسينات إلى السبعينات: وها أنت يا بردوني في المنتصف الثاني من التسعينات، وما زلت تتجدد من دخائلك، وتجدد ما حولك، ولقد قال لك الأستاذ نعمان حين رويت له أول أيام تدريسك بدار العلوم: لا تفوتك هذه المواقف مع الطلاب والإدارة وشهود الامتحان أن تكتبها في أيامك كطه حسين...وأخيرا أسألك متى ستكون بوليس نفسك وتكتب سيرتك الذاتية كأمثالك والذين هم دونك؟! "(٢٨)

ويتضح مما سبق أن غاية البردوني في مذكراته، لا تقف عند رصد سيرته الذاتية، وإظهار الجوانب المشرقة فيها، فقد جعل من سيرته الذاتية منطلقا لمذكراته الشاملة، لكي يستفيد القارئ من مخزونه المعرفي والثقافي، يقول في خاتمة الحلقة الأولى: " هذا العرض السريع لما يهم القارئ من سيرة البردوني، أما سائر السيرة الذاتية، فلا يفيد

أحدا أن يعرف متى أنام، ومتى أصحو، وماذا آكل وماذا أدع، فهذا اعتياد شائع بين كل آكل وشارب ومضطر إلى ذلك. أرجو أني أحسنت الإجابة وأرضيت الداعين إلى المواقف الثقافية المشتركة بيني وبين القارئ " [٢٩]

ولأن البردوني ركن إلى ذاكرته في استدعاء الأحداث، بعد أن قارب السبعين من عمره؛ فقد حرص في أكثر من موضع على إطلاق اسم (تذكرات) على حلقات مذكراته؛ لإدراكه أن المذكرات قد تكتب متزامنة مع الأحداث أو بعد انتهائها مباشرة، حيث يحدد منهجه في قراءة الأحداث المتذكرة وسردها، قائلا: " ويبدو أن صاحب هذا التذكر ألمّ بالأحداث قبل معرفته فقه وقائعها، أيام كان طالبا بالمدرسة الشمسية بذمار، فأمكن وعيه بالأحداث أن يفسرها بعد خمسين عاما من حدوثها؛ مقيساً كل حادثة بشبيهتها أو نقيضها، وهذا ليس بالغريب، فلم تكتب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد مرور أكثر من مائة عام، ولهذا كانت تلك السير منقولة من الذاكرات، ولم يشكل تدوينها أي تفسير علمي أو فلسفي، إلا بعد أن بلغت المؤلفات في السيرة مائتي مؤلف، وكان أكثر التفاسير في ضوء ثقافة القرن العشرين"[٣٠]

ويظهر حرصه على الموضوعية في مذكراته من خلال إيمانه بالقاعدة العلمية التي ترى في الكتابة عن الحدث فور وقوعه، سببا في قصور الرؤية وخضوعها لهيمنة ردود الفعل الآنية، يقول في مطلع الحلقة الموسومة بـــ (غيمة الوضوح بعد إخفاق دولة الدستور):" كلما طالت المدة على وقوع الحدث الكبير، تفتحت للدارس زوايا كانت مغلقة، ومكشوفات كانت واضحة فغامت وجوهها عند تفسيرها، أو عند قياسها بغيرها من المواضي واللواحق، فإلى الآن مازالت البحوث المعاصرة تصل إلى خبايا في حرب طروادة ، وما يزال كتّاب السيرة النبوية يضيفون إلى التأريخ فقه الوقائع الذي اعتمد عليه مستنبطو الأحكام" [٣١]لكنه في الوقت ذاته يرى أن للمذكرات المتضمنة للسيرة الذاتية، بعدا نفسيا وأدبيا مؤثرا في الكاتب والقارئ ، فقد:" أجمع النفسانيون على أن أصح الناس نفوساً هم الذين يكتبون السير الذاتية ... وبهذا تكاثرت في هذا العصر(السير الذاتية) التي تكشف المخبأ في نفوسهم، لكي تشرق ضياء في نفوس قرائهم، وفي مكتبتي الآن ثمانون سيرة ذاتية، كتبها بعضهم قبل أن يُعنَوا بالكتابات الموضوعية"[٣٢]

ومن هنا فهو يعد الركون إلى التداعي والاستطراد في سرد الأحداث وموازنة القضايا بشبيهاتها والانتقال من موضوع إلى آخر؛ ميزة أكسبت مذكراته بعدا علميا وبعدا أدبيا:" هذه التذكرات التي يمكن أن أسميها سيرتي الذاتية، أهاجت هذه الشجون، فاستدعى النظير نظيره، واقتاد المثيل مثيله ، وتداعي الخواطر والأشباه عوامل إثراء العبارة، لكي يلوح الكلام أدباَ ، ولعل الأزمنة التي جايلتها أنا في عمري الزمني والشعري من عام ٢٩ إلى ٤٩م كانت تحمل شيخوختها وطفولتي، فيتناقض الزمان مع المتزمّن"[٣٣] وتظهر سمة الاستطراد في سرد الأحداث في معظم حلقات مذكراته؛ فلا يقف عند حدود عنوان حلقته، بل يتجاوز الزمان والمكان والموضوع أو القضية إلى موضوعات متعددة، قد لا يجد القارئ اتصالا واضحا بينها، وهذا ما نجده – على سبيل المثال – في حلقة عنوانها (فضيحة بدار العلوم) [٣٤] وهذا ما سيتضح أكثر في معالجاتنا اللاحقة.

- شعرية السرد ووجهة النظر:

يظهر تأثير البردوني الشاعر في البردوني السارد من خلال لغة السرد التي بدت شعرية في مذكراته، لاسيما في مداخل حلقات المذكرات وخواتيمها، فنجدها أحيانا تتفوق على الشعر، في التكثيف وصياغة الصور البلاغية، وظهور النزعة الذاتية، وهذا ما نجده – على سبيل المثال – في مدخل حلقة عنوانها (بعد انقشاع الصعقة)، يقول: " فكلما أسرع تعاقب الشمس والقمر، طوى كتاب الزمن صفحات وافتتح صفحات، حتى تكاد الفصول تذهل عن فصولها، أو يذهل الإنسان عن ما تحدث الفصول من اخضرار واصفرار والتئام جراح وانفتاح جراح، لأنه حين يغرق في استحداثه المآتم والأعراس، يغيب عما تفعل الطبيعة في مظاهر الوجود، لأنه أعظم ظواهر هذا الوجود وأقوى مبتدعات الطبيعة، لأنه يتعلم كيف يخلق، ثم يتجاوز مخلوقاته الأولى إلى ما هو أعظم، وكلما تبرج الأعظم حجب العظيم، لأن هذه المخلوقات تنتزع من خالقها طبيعة الرحيل من فصل إلى فصل، فكما يتحول الاخضرار إلى أثمار في الطبيعة، تفضي مآسي الإنسان إلى أفراح كإيناع الأحزان حين تبلغ مداها كأشجار البساتين وزروع السهول"[٣٥] فنحن هنا أمام مقطوعة شعرية لا ينقصها سوى الإيقاع حيث وظف التشبيهات والاستعارات بشكل ملفت ، كما نجد تأثيرا واضحا لمشاعر الكاتب وزاوية رؤيته.

وقد ترجع شعرية السرد في مذكرات البردوني إلى النزعة الذاتية التي تغلب عادة على معظم حلقات مذكراته، حيث يحرص على طرح وجهة نظره، ورؤيته الشخصية في معالجة الأحداث المتذكَّرة – مع أن السرد وسيلة للتخفيف من طغيان الذاتية السائدة في الشعر الغنائي – وهذا ما نجده على سبيل المثال في تناول أحداث ثورة ٤٨ وجذورها في الثلاثينات، يقول: " توقف امتداد هذا التذكر على بوابة المغيبات، التي طرقت من غير الطرق السالكة، وتراكضت إلى المهود الأحداث التي كانت غير مرئية العلامات، والتي كانت غير محتملة الحضور، لأن الضيوف غير المدعوة توافدت من غير مآتيها، وتعاقبت الأسئلة الملحة على الذي لا جواب لديه.. فحل محل الذي كان غير الذي لا يدري كيف يكون؛ لأن نهاية الدورة شكل بداية دورات غائمة المداد، وكانت البداية لا تشكل منتهاها، فإذا بها تشكل بداية الدورات الزمنية الأخرى، التي تدل على دورات غيرها، فقد شكل شباط عام ٤٨ نهاية الذي كان ومستهل الذي يكون، لأن الذي تبرج في شباط كان بعيد البداية التي أصبحت نهاية؛ لأن بداية وقائع شباط كانت عصارة عقدين متعاقبين، لأن الأحداث الشباطية بزغت من فجر يناير عام ٣١ وأينعت في ١٨ شباط"(٣٦).

ومن هنا كان من الطبيعي أن يحضر الراوي العليم (صاحب المذكرات) في سرد الأحداث، ونلمس ذاتية الراوي وتطابقها مع شخصية كاتب المذكرات البردوني في تناول العلاقات الاجتماعية مع أسرته وأصدقائه ومغامراته الغرامية، ومع هذا فقد ظل البردوني حريصا على تقديم الحقيقة، وإن تعددت زوايا الرؤية واختلفت وجهات النظر في الأحداث والحقائق التاريخية، وهذا ما نلمسه في قوله: " من تعدد الرؤيات إلى جوانب الموضوع الذي يتمحوره كل كاتب.. تزول الواحدية لواحدية الموضوع، فيمكن المثقف أن يقرأ عن الموضوع الواحد عدة مواضيع لاختلاف نهج الكتاب وتعدد زوايا الموضوع، فهذا المؤرخ يدون الأحداث التاريخية على حسب الأعوام أو على وقائع الأحداث كونية أو بشرية ... ولكل كاتب هوى ولكل سياسة كتابها، والمعبرون عن السياسة العامة للنظام وهنا يلوح الكتاب المحترفون أصدق لهجة وأوضح رؤية، لأن الأمانة ترقى به إلى شرف المهنة، لأنه شاهد محترف أو مستخبر متقص، يفهم المبالغة هنا والتهاون بالأمر هناك.. ويرى الحلقات المفقودة الساقطة من السلسلة، أو المدغمة بين حلقتين حجباً عن الحلقة المفقودة "(٣٧)

- **التداعي والقصص المؤطرة:**

في أكثر من موضع يطلق البردوني على حلقات مذكراته اسم " تذكرات " ليفرق بذلك بين المذكرات التي يدونها الكتاب بشكل حرفي على مدى معايشتهم للأحداث، وما قدمه البردوني بالركون إلى الذاكرة واسترجاع ما شهده من أحداث وتطورات على المستوى الذاتي وعلى المستوى العام، معتمداً على تقنية الاسترجاع والتداعي الذي يقود الكاتب – كما يقول – من حادثة إلى أخرى متجاوزاً حدود الزمان والمكان، إلى أمكنة وأحداث وأزمنة مختلفة: " لقد شطبنا التداعي عن الزمان والمكان..." (٣٨) ويأتي التداعي الحر في جانب منه نتيجة لمفهوم الزمن لدى البردوني ورؤيته المتميزة للعلاقة بين الأزمنة المختلفة، وتتضح خلاصة هذه الرؤية في قوله: "آخر شهر من كل عام تختلط فيه مفاهيم الأيام، وهل هو ينتسب للعام الذي ولّى، أو أن لكل يوم عالمه المستقل بلا انقطاع، أو أنّ مجرياته امتداد من أمسه، أو أنه محسوب على غده؟!! وكانت أيام الحروب هي التي تنغص المرور الزمني، وتستحضر ما فات، لأن الذي هو كائن من حصاد الذي كان، فهو منه منقطع عنه، وهكذا أطوار صنع البشر، الذين يغيرون الأشكال، ويضيفون إلى الأيام أياماً، لأنه بعث أياماً أو عصوراً، لأنه حشد ما أحاطت به من وجوه، وما تكونت فيه من أساسيات الآتي؛ فصارت الحوادث ومتغيراتها هي الدليل إلى الأمس، لأن المعارف التي توالت أنظمتها، كانت منطقية، لأن الأيام المواضي كانت تكون الصورة الذهنية عن التي كانت، لأنها تعلم أن اليوم آت من أمسه لكي يكون مستقبله، عن تجربة عكسية، أو عن نتيجة حققتها ثقافة الأمس، بما توالت من معارف ونقد معارف. وهذا ما نبهت إليه الثقافة الشعرية، التي ذاقت مرارة الأمس أو حلاوته، بالنسبة إلى سوء تسيير الثقافة، أو سوء فهمها" (٣٩)

فالزمن عند البردوني يهيمن على الأحداث والشخصيات وينظمها على اختلافها ضمن سياق متصل يربط الماضي بالحاضر والمستقبل، يقول "هل ينقضي الزمان الذي مضى، أو يمضي الذي انقضى؟!!علمنا النحاة قدمية الزمان على الإنسان وأفعاله، فلا يقع الفعل إلا في زمن. فهل الزمن بلا بداية؟ وإذا لم تكن بداية، فهل يفضي إلى النهاية؟! قال المؤرخون: مادام للزمن بعد فإن له قبل، وماله قبل وبعد فلا بداية له غير معلومة، وله

نهاية غير مفهومة، لالتباس مراحل الزمن. فهل الذي أتى اليوم هو الأمس عاد؟ أو أنه اليوم المنفصل ابتدأ؟ " (٤٠).

ومن هنا جاءت حلقات مذكراته كأنها قصص مؤطرة أو فصول ضمن رواية عنوانها الكبير (مذكرات البردوني)، ونجد هذه السمة على مستوى الحلقة الواحدة، فتظهر وكأنها مجموعة من القصص القصيرة المرتبطة بشكل أدبي بعنوان الحلقة أو بعنوان المذكرات(٤١)؛ فيجد القارئ تعدداً في أنماط الحدث وزمانه ومكانه ضمن حلقة واحدة، وأحياناً لا يجد رابطاً قوياً بين عنوان الحلقة ومحتوى القصص والأحداث الواردة فيها، وقد تتكرر في أكثر من حلقة، حتى تبدو الحلقة وكأنها مجموعة من القصص القصيرة المؤطرة، وتبدو المذكرات بمجموع حلقاتها عملا روائيا في فصول أو في حلقات أو في قصص مؤطرة، ونلمس هذا على سبيل المثال في حلقة عنوانها (سنة العشق والخوف) فقد بدأها البردوني بالحديث عن الجو السياسي العام عام ١٩٤٤ في اليمن، ثم انتقل إلى الحديث عن وضع البردوني وعلاقاته بزملائه، وكل حدث يقوده إلى سرد قصة أخرى استدعتها القصة السابقة (٤٢).

ونتيجة لتعدد القصص المؤطرة ضمن الحلقة الواحدة، غابت الحبكة على المستوى الكلي، أما على مستوى القصة المؤطرة ضمن حلقة، فقد استطاع البردوني اجتذاب القارئ بأسلوبه المتقن والشيق في سرد القصة المؤطرة، وبناء أحداثها.. ومع هذا فقد أسهمت هذه التقنية في التقليل من أسلوب السرد التاريخي الصرف، وأكسبت مذكراته تشويقاً جاذبية؛ فكأننا أمام حكايات من ألف ليلة وليلة أو من (المستطرف في كل فن مستظرف) مع أن البردوني حاول في بداية بعض حلقاته وخواتيم أخرى إيجاد نوع من الترابط بين الحلقات، كقوله:" ومضى اليوم بسلام وسكتت هذه الحلقة من التذكر وعلى فمها استفهام؟ وإنّ غداً لناظره قريب" (٤٣)

- الحوار ودرامية السرد:

استطاع البردوني أن يكسب مذكراته مسحة درامية، تظهر في تناول الأحداث ورسم الشخصيات ومشاركتها في صنع الأحداث، إضافة إلى توظيف تقنية الحوار بشكل لافت، فالقارئ لمذكرات البردوني يلحظ تعدد الشخصيات وهيمنتها، حتى تكاد تطغى في

كثير من الحلقات على شخصية الراوي (صاحب المذكرات) نفسه، من خلال إسناد البطولة أو تقاسمها مع كثير من الشخصيات، كما يظهر في المقطع الآتي من مذكراته: " وعرفت أن الأكوع أميل إلى الإصغاء إلي؛ لأنه كان يستنشدني من حين إلى حين.. ولما أسمعته مقطوعة، فكر طويلا، ولم يقل حرفا، فاستفسرته، فقال: (اصبر) إني في حيرة من قولك هذا، وهذا هو النص:

ثوى الليل في مقلتي الساهرة وأرسي على نفسي الحائرة

ومات الدجى في ضلوعي فهل سيبعث يا رب في الآخرة

قال: هذا الكلام عجيب!! لماذا لا ينبعث الليل في الآخرة؟ قلت: لأن البعث للنفوس الآدمية، تارة بصيغة الفرد، وتارة بصيغة الجمع. فقال: هذا أمر عجيب.. كيف أدركت هذا المعنى؟ قلت: للنفس حالات شفافية، وربما كان للقافية دخل، لأن (حائرة) جرت (آخرة) . قال: لماذا يا عبد الله تعلمت الشرح الصغير والجوهر المكنون، وما تنظم على تلك التشبيهات والاستعارات والمجازات ؟ . قلت: لأن التعليم غير الشعر، وليس التعليم إلا أساسا للثقافة الشعرية وغيرها من الثقافات العليا. قال لماذا لا تقول مثل مثيلك بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

قلت: هذا البيت وقع في سمعي، ولم ينفذ إلى حاستي، مع أنه يتمتع بمعمارية جمالية، وبتصوير مكثف كسائر التشبيه التمثيلي.. قال: أهاه !! إذن فأنت أحطت بالكتب التي تقرأها عند أحسن الشيوخ. قلت: نعم. قال: فكيف تسأل عن بعث الليل في الآخرة؟ قلت: لأني أريد أن أخلق شعرا، فأنتم تلاحظون أن البلاغة عند شوقي مختلفة قليلا أو كثيرا عن بلاغة البحتري والمعري..."(٤٤)

فقد أعطى الشخصيات استقلالاً نلمسه من خلال أفعالها وأقوالها التي تنتقد البردوني أو تسخر منه بأسلوب جارح، وكان بإمكان الراوي حذفها.

ولإضفاء طابع درامي واقعي على مذكراته؛ حرص البردوني في كثير من المشاهد الحوارية على نقل الحوار بين الشخصيات بلهجاتها، كما في المشهد الآتي: " في عام 54

وصل إلى كوخي بباب السبح حسين الكبسي الكاتب المالي بإدارة دار العلوم، وظننت أن له مهمة كبرى قد تكون إبعادي أو سجني وظل ساكتاً، فقلت له: أي ريح طيبة حملتك إلي؟ قال: اسمع أنا في حنبة حانبة من أجلك لأني كاتب اسمك آخر القائمة بلا صفة كسائر الشيوخ. قلت: والله ما اعلم أين مكان اسمي، فوكزني لطف الكحلاني بكوعه شبه ضاحك، لأنه كان كثير الضحك حين اقبض المرتب أو حين يقبضه لي، وهنا انبسط الكبسي حين لاقاني غير مكترث بشيء بل إني أضحك مع طير السماء على حرفية قوله، ثم التفت إلى الأخ لطف وقال: يا لطف هذه عشرة ريال للأستاذ بدون طلب حق عليه، ولكن عليك أن تشتري له قميصاً مثل أحد الشيوخ، طويلاً فضفاضاً مسبل الكمين قد أنت عارف، وهذه العمامة الصغيرة ركب بدلها من تسعة مذارع، حتى تساوي عمامة شيخ بدار العلوم، أما الحزام والجنبية فمحفوظة "[٤٥]

- المفارقة الساخرة وكوميديا السرد:

امتاز البردوني في شعره ونثره بأسلوبه الساخر النابع من قلب المعاناة في مفارقة تعالج التراجيدي في قالب كوميدي، وهذه السمة امتدت إلى مذكراته – كما يظهر من المقاطع التي استشهدنا بها سابقا – فقد سرد البردوني مجموعة من المواقف والمغامرات بأسلوب ساخر وجذاب يدل على نفسية مرحة، وموهبة فذة، تصنع من المأساة ابتسامة، لها تأثير يفوق تأثير التراجيديا المباشرة، حيث تظهر المعاناة في قالب هزلي يعري أسبابها ويسخر من دوافعها، ويظهر هذا القالب الكوميدي في استعراض جوانب من معاناته، من الفقر وشظف العيش، وكذلك تظهر كوميديا الموقف في مغامراته ومناظراته الفكرية والأدبية مع أساتذته وزملائه وفي استعراض بعض الأحداث والمواقف السياسية والاجتماعية[٤٦]، ونكتفي هنا بهذا المشهد الكوميدي من حوار دار بين البردوني وأحد زملائه في الدراسة:

"والمهم أنه أحسن القول، واختار وقت تجميع بعد صلاة المغرب، فأنشدني ضاحكاً، اسمع:

إن البردوني عصى ربهُ وتاه في عصيانه واشتهرْ

فأبدى الشيوخ امتعاضاَ، وانتظر بعضهم إتمام الإنشاد وبداية الرد عليه:

إذا تعشى عند مرجانة غدا إلى الحمام قبل السحر

فقلت له أما قبل السحر فقل سرى، لأن السُرى السير بالليل، ولا يقال غدا ويغدو إلا بعد بزوغ الشمس ... وبعد دقائق همس لي أكثر الشيوخ حباً للتعييب: انتبه على عرضك وللغة رب يحميها، قلت: وخلقني من حماتها. وفي اليوم الثاني وزع إسماعيل العفاري، وأحمد مطهر ورقة تحمل إجابة مني، عند ما أدركت أني أرضي الشعر، وإن سخط من سخط، وساعدني اسم السماوي لابتكار صورة مقلوبة:

إن السماوي وهو عكس اسمه أنثى ويبدو ظاهراً كالذكَرْ

من حسنه مل الحدا زوجهُ وخان طه بنت ناجي عترْ

ففتحت على صدري النار من ثلاث جهات، وكنت أحب المرور على الحرائق ومازلت، وأول من لاقاني باكياً هو الحدا التاجر: أنت داري أن عملائي يثقون بديني أكثر من بضاعتي وقال باكياً: خذ هذا وأعطاني ريالاً، مؤكداً إلى هنا وبس، أما طه، فلا يهمه شعر ولا شعراء، ولا يخاف من إغضاب زوجته بنت ناجي عتر.. رمزية"[٤٧]

- خاتمة:

يتضح من معالجاتنا السابقة أن مذكرات البردوني قد جاءت حاملة جانبًا من خصائص شخصيته وأسلوبه في الكتابة، فعكست تعدد البيئات والأزمنة التي عاشها أو عمل فيها، كما عكست غزارة معرفته وموسوعية ثقافته، وتنوع مجالات الكتابة لديه، وقدراته في الكتابة، فاتسمت بخصائص أسلوبية ومنهجية مشتركة نتجت في مجملها عن تميز شخصيته وتعدد مصادر ثقافته وتنوع البيئات والتجارب التي مر بها ويمكن أن نوجز هذه الخصائص في الآتي:

- تقدم مذكرات البردوني على مستوى المعرفي سجلاً حافلاً بالأحداث والتطورات الثقافية والسياسية والفكرية والاجتماعية، إضافة إلى سيرته الذاتية والسير الغيرية لشخصيات عاصرها أو تأثر بها.

- **ولذا هيمنت على مذكرات البردوني سمة الكتابة الموسوعية، فقد جمعت هذه المذكرات جوانب قلما نجدها في عمل سردي واحد، حيث التقت السيرة الذاتية بالمذكرات، والسرد التاريخي والنقد والتحليل السياسي والاجتماعي وشملت عصورا متعددة ولم تقف عند عصر كاتبها.**
- **نجد في مذكرات البردوني مثالا واضحا لتداخل الأجناس الأدبية، حيث ظهرت شعرية السرد في مذكراته جلية في لغة السرد التي بدت قريبة من لغة البردوني في شعره، ويمكن أن نعد هذا نتاجا لتأثير البردوني الشاعر في البردوني السارد**
- **وبذلك يمكننا أن نعد مذكرات البردوني إضافة نوعية إلى نتاجه الغزير والمتنوع، اقتحم بها بابا جديدا من أبواب الإبداع الأدبي، يضاف إلى رصيده في مجال الشعر والكتابة الصحفية.**

هوامش الدراسة

١. لمزيد من التفصيل حول حياة البردوني ونتاجه الشعري والنثري، ينظر: موقع الشاعر عبد الله البردوني، ((https://www.albaradouni.com/، 15/10/2020 .

٢. ينظر: مذكرات الشاعر عبد الله البردوني: دراسة ونصوص، حيدر محمود غيلان، ط١، وزارة الثقافة، صنعاء، ص٤٥ وما بعدها.

٣. لمزيد من التفصيل حول العلاقة بين المذكرات والسيرة الذاتية، ينظر: أدب السيرة الذاتية والمذكرات، تيسير مشارقة، موقع البلاغ ((https://www.balagh.com/article، 25/8/2020 .

٤. للاطلاع على نصوص هذه الحلقات مجتمعة، ينظر: مذكرات الشاعر عبد الله البردوني: دراسة ونصوص، ص٤٥ – ٤١٨.

٥. (مكانة المدرسة الشمسية بذمار)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٢٨)، ١٤ نوفمبر١٩٩٦م، ص٦.

٦. (خطوة أخرى في الشوط الزمني)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٣٠)، ٢٨نوفمبر ١٩٩٦، ص٦ .

٧. (علم العلوم)، عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٦٣)، ٢٢يوليو١٩٩٩، ص٦.

٨. (مسافة شعرية بين صنعاء وتعز)، عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٤٤) ، ٤مارس١٩٩٩،ص٦.

٩. (الآتي الذي يأتي غيره)، عبدالله البردوني، العدد صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، (٧٦٥) ، ٧أغسطس ١٩٩٧م ، ص٦.

١٠.(هيجان العقد الخامس)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٩٨)، ٢ابريل١٩٩٨، ص٦,

١١.(حروب الزمان الغائب، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٦١)، ٨يوليو١٩٩٩، ص٦.

١٢.(ضحايا التغيرات)، عبد الله البردوني، صحيفة ٢٦ سبتمبر، العدد (٧٧٠)، ١١ سبتمبر ١٩٩٧م، ص٦.

١٣.(مخلفات العواصف)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٩٦)، ١٩مارس١٩٩٨م، ص٦.

١٤.للاطلاع على نصوص هذه الحلقات مجتمعة، ينظر: مذكرات الشاعر عبد الله البردوني: دراسة ونصوص، ص٤٥ – ٤١٨.

١٥.(علامات المفترق)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٧٩)، ١٣نوفمبر ١٩٩٧م، ص٦.

١٦.(على بوابة العصر الجديد)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٨١)، ٢٧ نوفمبر١٩٩٧م، ص٦.

١٧.(مكانة المدرسة الشمسية بذمار)، مرجع سابق، ص٦.

١٨.للاطلاع على نصوص هذه الحلقات مجتمعة، ينظر: مذكرات الشاعر عبد الله البردوني: دراسة ونصوص، ص٤٥ – ٤١٨.

١٩.ينظر على سبيل المثال: حلقة (الطالب الأستاذ)، حيث تتضمن نقدا للمناهج التعليمية في تلك المرحلة، كما تتضمن لمحات من تاريخ الأدب.

٢٠.(حلقة من الذكريات الثقافية)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٢٥)، ٢٤أكتوبر١٩٩٦، ص٦.

٢١.(استدراك)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٦٨)، ٢٦ أغسطس١٩٩٩، ص٦.

٢٢.(البردوني الثاني في مطلع السبعين من عمره)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٥٩) ،٢٤ يونيو ١٩٩٩، ص٦.

٢٣.(العام الأحمر)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٨٤)، ١٨ديسمبر ١٩٩٧م، ص٦.

٢٤.لمزيد من التفصيل حول فن المذكرات، ينظر: فن المذكرات في الأدب العربي الحديث، فوزي الزمرلي، دون. ت. طبعة، جامعة تونس الافتراضية، تونس، ص ٩ وما بعدها.

٢٥.لمزيد من التفصيل حول فن السيرة الذاتية، ينظر: فن السيرة، إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ودار الشروق عمان ١٩٩٦، ص ٩١ -١١٠.

٢٦.للبردوني عدد من المؤلفات في مجال التاريخ، منها: اليمن الجمهوري والثقافة والثورة في اليمن.

٢٧.لمزيد من التفصيل حول جهود البردوني في مجال النقد الأدبي، ينظر: البردوني ناقدا، حيدر محمود غيلان، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، صنعاء ٢٠٠٤.

٢٨.(إلزام وملزم)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٢٣)، ١٠اكتوبر ١٩٩٦م، ص٦.

٢٩.نفسه، ص٦.

٣٠.(الآتي الذي يأتي غيره) عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٦٥)، ٧ أغسطس ١٩٩٧م، ص٦.

٣١.(غيمة الوضوح بعد إخفاق دولة الدستور)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٥٩)، ٢٦يونيو ١٩٩٧م، ص٦.

٣٢.(تيار التغيرات)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٧٨)، ١٥يناير ١٩٩٨م، ص٦.

٣٣.(علامات المفترق)، مرجع سابق، ص٦.

٣٤.ينظر: (فضيحة بدار العلوم)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٩١)، ١٢فبراير ١٩٩٨م، ص٦.

٣٥.(بعد انقشاع الصعقة)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٦٧)، ٢١أغسطس١٩٩٧، ص٦.

٣٦.(الآتي الذي يأتي غيره)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٦٥)، ٧أغسطس ١٩٩٧م، ص٦.

٣٧.(مسافة شعرية بين صنعاء وتعز)، مرجع سابق، ص٦.

٣٨.(العام الأحمر)، مرجع سابق، ص٦.

٣٩.(علم العلوم)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٦٣)، ٢٢ يوليو١٩٩٩، ص٦.

٤٠.(علامات المفترق)، مرجع سابق، ص٦.

٤١.حول تعدد القصص ضمن حلقة واحدة، ينظر على سبيل المثال: حلقة (فضيحة بدار العلوم)، مرجع سابق، ص٦

٤٢.(سنة العشق والخوف)، عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٣١) ،٥ديسمبر١٩٩٦م ، ص٦.

٤٣.(غيمة الوضوح بعد إخفاق دولة الدستور)، مرجع سابق، ص٦.

٤٤.(حلقة من الذكريات الثقافية)، مرجع سابق، ص٦.

٤٥.(الطالب الأستاذ)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٨٢)، ديسمبر١٩٩٧م، ص٦.

٤٦.ينظر: على سبيل المثال، حلقة (تيار التغيرات)، مرجع سابق، ص٦.

٤٧.(سنوات بداية التحول)، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٣٦)، ٩يناير ١٩٩٧، ص٦.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب:

- البردوني ناقدا، حيدر محمود غيلان، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، صنعاء٢٠٠٤.
- فن السيرة، إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ودار الشروق عمان ١٩٩٦.
- فن المذكرات في الأدب العربي الحديث، فوزي الزمرلي، د.ت. طبعة، جامعة تونس الافتراضية، تونس.
- مذكرات الشاعر عبد الله البردوني: دراسة ونصوص، حيدر محمود غيلان، ط١ ، وزارة الثقافة، صنعاء ٢٠١٣ .

ثانيا: الصحف والمجلات:

- الآتي الذي يأتي غيره، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٦٥)، ٧ أغسطس ١٩٩٧م.
- استدراك، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٦٨)، ٢٦ أغسطس١٩٩٩.
- إلزام وملزم، عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٢٣) ، ١٠اكتوبر ١٩٩٦م.
- البردوني الثاني في مطلع السبعين من عمره، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٥٩) ،٢٤ يونيو ١٩٩٩.
- بعد انقشاع الصعقة، عبدالله البردوني، العدد صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، (٧٦٧)، ٢١ أغسطس١٩٩٧ .
- تيار التغيرات، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٧٨)، ١٥ يناير ١٩٩٨م.
- حلقة من الذكريات الثقافية، عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٢٥) ، ٢٤ أكتوبر١٩٩٦.

- حروب الزمان الغائب، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، لعدد (٨٦١)، ٨يوليو١٩٩٩.
- خطوة أخرى في الشوط الزمني، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٣٠)، ٢٨ نوفمبر ١٩٩٦.
- سنة العشق والخوف، عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٣١)، ٥ديسمبر١٩٩٦م .
- سنوات بداية التحول، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٣٦)، ٩يناير ١٩٩٧، ص٦.
- ضحايا التغيرات، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٧٠)، ١١ سبتمبر ١٩٩٧م.
- الطالب الأستاذ، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٨٢)، ديسمبر١٩٩٧م.
- العام الأحمر، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٨٤)، ١٨ ديسمبر ١٩٩٧م .
- على بوابة العصر الجديد، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٨١)، ٢٧ نوفمبر١٩٩٧م.
- علامات المفترق، عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٧٩)، ١٣ نوفمبر ١٩٩٧م.
- علم العلوم، عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٦٣) ، ٢٢ يوليو١٩٩٩.
- علامات المفترق، عبد الله البردوني، صحيفة ٢٦ سبتمبر، العدد(٧٧٩)، ١٣ نوفمبر ١٩٩٧م.
- غيمة الوضوح بعد إخفاق دولة الدستور، عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، ، العدد(٧٥٩)، ٢٦يونيو ١٩٩٧م.
- فضيحة بدار العلوم، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٩١)، ١٢ فبراير ١٩٩٨م.

- مخلفات العواصف، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٩٦)، ١٩مارس١٩٩٨م.
- مسافة شعرية بين صنعاء وتعز عبدالله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٨٤٤) ، ٤ مارس١٩٩٩.
- مكانة المدرسة الشمسية بذمار، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، لعدد (٧٢٨)، ١٤ نوفمبر١٩٩٦م.
- هيجان العقد الخامس، عبد الله البردوني، صحيفة (٢٦ سبتمبر)، صنعاء، العدد (٧٩٨)، ٢ابريل١٩٩٨.

ثالثا: المواقع الإلكترونية على الانترنت:

- أدب السيرة الذاتية والمذكرات، تيسير مشارقة، موقع البلاغ: (https://www.balagh.com/artic) ٢٠٢٠/٨/٢٥.
- موقع الشاعر عبد الله البردوني: (https://www.albaradouni.com)، ٢٠٢٠/١٠/١٥.

مجلة كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي ـــ